

تأليف

الإمام شمس الدين أبي عبد الله بن قيم الجوزية
المتوفى سنة ٧٥١هـ

هذبه وعلق عليه
أبو حذيفة
إبراهيم بن محمد

خرج الأحاديث
مصطفى بن العدوي

دار الصحابة للتراث بطنطا

الطبعة الأولى
١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

دار الصحابة للتراث بطنطا
للنشر والتحقيق والتوزيع
شارع المديرية - امام محطة بنزين التعاون
ت : ٣٣١٥٨٧ - ص . ب : ٤٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

إن شئت أن تحظى بجنة ربنا	وتفوز بالفضل الكبير الخالد
فانهض لفعل الخير واطرق بابه	تجد الإعانة من إله ماجد
واعكف على هذا الكتاب فإنه	جمع الفضائل جمع فذ ناقد
يهدى إليك كلام أفضل مرسل	فيما يقرب من رضاء الواحد
فأدم قراءته بقلب خالص	وادع لكتابه وكل مساعد

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله - ﷺ - .

أخى القارىء هذا جزء من مشروعنا « تهذيب كتب ابن القيم رحمه الله » والحق يقال فإن كلام ابن القيم كله درر وكله فوائد ، ويصعب على المرء اختصاره ، بل ربما حزن المرء على نقصان كلمة من كلامه رحمه الله . ولكن ابن القيم كثيراً ما يستطرد خاصةً فى الموضوعات التى تخص الروح وما يتعلق بها . فكان ذلك هو الدافع وراء هذا المشروع لكى يتسنى للقارىء المعاصر الإلمام بالموضوع بأيسر الطرق وبأقل وقت ممكن ومع ذلك لا تنسى علمه الغزير - وأسلوبه السلس الجذاب - وفوائد كتبه الجمة ، حتى إن المرء لا يشبع من كلامه - فتجد نفسك أمام موضوعات كثيرة مهمة يتعرض لها فمنها :

- هل تعرف الأموات زيارة الأحياء ؟
- وهل أرواح الموتى تتلاقى وتتزاور ؟
- وهل تتلاقى أرواح الأحياء وأرواح الأموات ؟
- وهل تموت الروح أو يموت البدن وحده ؟
- وهل تعود الروح إلى الميت فى قبره ؟
- وهل عذاب القبر على النفس والبدن ؟
- وهل يشارك البدن النفس فى النعيم والعذاب أم لا ؟

وغير ذلك من الموضوعات الكثيرة التى تتعلق بالروح ثم يذكر لك :

إن الروح لها بالبدن خمسة أنواع متغيرة الأحكام :

أحدها : تعلقها به فى بطن الأم جنينًا .

الثانى : تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض .

الثالث : **تعلقها به فى حال النوم فلها به تعلق من وجه ، ومفارقة من وجه .**

الرابع : تعلقها به فى البرزخ ، فإنها وإن فارقته وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لا يبقى لها التفات إليه البتة .

الخامس : تعلقها به يوم بعث الأجسام وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن ، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه ، إذ أنه تعلق لا يقبل البدن معه موتًا ولا نومًا ولا فسادًا .

وبعد : نذكر لك أخى القارىء منهجنا فى هذا الاختصار :

منهج العمل فى هذا التهذيب :

١ - الاختصار والإبقاء على ما هو مفيد .

٢ - ترك الكتاب على نفس ترتيبه مع الاحتفاظ بأسلوب الإمام بن القيم .

٣ - التعليق كلما أمكن وتخريج الآيات .

٤ - تخريج الأحاديث مع عزوها إلى مصادرها مع بيان درجة كل حديث وقد قام بهذا العمل مشكوراً الأخ المكرم /مصطفى بن العدوى فجزاه الله خير الجزاء .

وبذلك العرض السريع نتركك أخى القارىء مع صفحات ناصعة من تراثنا المجيد مع عالم جليل من علماء سلفنا الصالح غفر الله لنا وله وتجاوز عن سيئاتنا ونفعنا بما علمنا .

أبو حذيفة

إبراهيم بن محمد

هل تعرف الأموات[1] زيارة الأحياء وسلامهم أم لا ؟

قال ابن عبد البر : ثبت عن النبى – ﷺ – أنه قال : « ما من مسلم يمر على قبر أخيه كان يعرفه فى الدنيا ، فيسلم عليه ، إلا ردَّ عليه روحه ، حتى يرد عليه السلام »[2] .

---

(١) قد ذكرنا فى هذا الموضوع ملخص ما ذكره الإمام بن القيم عليه رحمة الله . وقام الأخ المكرم / مصطفى بن العدوى بتحقيق أحاديثه .

وبقى سؤال هل فعلاً تعرف الأموات زيارة الأحياء أم لا ؟

فالجواب ما ذكره لنا علامة العصر الشيخ ناصر الدين الألبانى فى تعليقه على كتاب « الآيات البينات فى عدم سماع الأموات » فقال : « خلاصة البحث والتحقيق : إن الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة الحنفية وغيرهم – على أن الموتى لا يسمعون وأن هذا هو الأصل ، فإذا ثبت أنهم يسمعون فى بعض الأحوال ، كما فى حديث « خفق النعال » أو أن بعضهم سمع فى وقت ما ، كما فى حديث « قليب أهل بدر » فلا ينبغى أن يجعل ذلك أصلا ، فيقال إن الموتى يسمعون كما فعل بعضهم كلا ، فإنها قضايا جزئية ، لا تشكل قاعدة كلية يعارض بها الأصل المذكور ، ولذلك قال العلامة الآلوسى فى « روح المعانى » بعد بحث مستفيض فى المسألة (٦/٤٥٥) : « والحق أن الموتى يسمعون فى الجملة ، فيقتصر على القول بسماع ما ورد السمع بسماعه » .

وهذا مذهب طوائف من أهل العلم كما قال الحافظ ابن رجب الحنبلى ، وما أحسن ما قاله ابن التين رحمه الله : « إن الموتى لا يسمعون بلا شك ، لكن إذا أراد الله تعالى إسماع ما ليس من شأنه السماع لم يمتنع » ..

فإذا علمت أيها القارىء الكريم : أن الموتى لا يسمعون ، فقد تبين أنه لم يبق هناك مجال لمناداتهم من دون الله تعالى ، ولو بطلب ما كانوا قادرين عليه وهم أحياء ، بحكم كونهم لا يسمعون النداء ، وصدق الله العظيم ﴿ ومن أضلُّ ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حُشر الناس كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ [الأحقاف : ٥ ، ٦] ا.هـ .

(٢) **حديث ضعيف** :

أخرجه الخطيب البغدادى (٦/١٣٧) من حديث أبى هريرة – رضى الله عنه – مرفوعا ، وفى إسناده =

فهذا نص فى أنه يعرفه بعينه ، ويرد عليه السلام .

وثبت عنه - ﷺ - ، « أن الميت يسمع قرع نعال المشيعين له إذا انصرفوا عنه »[3] وقد شرع النبى - ﷺ - لأمته ، إذا سلَّموا على أهل القبور ، أن يسلموا عليهم سلام من يخاطبونهم فيقول : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين »[4] .

وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل - ولولا ذلك ، لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد والسلف[5] يجمعون على هذا ، وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحى له ويستبشر به .

ويكفى فى هذا تسمية المسلم عليهم زائراً ، فإن المزور إن لم يعلم بزيارة من زاره لم يصح أن يقال زاره[6] ، وكذلك السلام عليهم أيضاً فإن السلام على من لا

= عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف » وسبب ذكرى لهذا الحديث رغم ضعفه هو انتشاره والقول به فكان لزامًا التنبيه على ضعفه » .

(٣) **حديث صحيح** :
أخرجه البخارى (١٣٣٨) ومسلم (٢٨٧٠) من حديث أنس بن مالك - رضى الله عنه - عن النبى - ﷺ - ولفظه : « العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم » .. الحديث .

[وقال الشيخ الألبانى فى تعليقه على رسالة الآيات البينات ص ٣٨ عقب هذا الحديث وهذا كما ترى خاص بوقت وضعه فى قبره ومجىء الملكين إليه لسؤاله فلا عموم فيه ، وعلى ذلك حمله العلماء كابن الهمام وغيره ...]

(٤) **حديث صحيح** :
أخرجه مسلم (رقم ٢٤٩) من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - أتى المقبرة فقال : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون .. الحديث » .
وأخرج مسلم أيضا (٩٧٤) من حديث عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت : كان رسول الله - ﷺ - (كلما كان ليلتها من رسول الله - ﷺ) يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غدا مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد » .

(٥) وقوله والسلف مجمعون على هذا ... فى هذه الدعوى نظر .

(٦) قال الشيخ الألبانى فى تعليقه على الآيات البينات عقب هذه الفقرة ص ١٨ رحم الله ابن القيم ، فما =

يشعر ولا يعلم بالمُسلِّم محال وقد علم النبى – ﷺ – أمته إذا زاروا القبور أن يقولوا : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين ، نسأل الله لنا ولكم العافية »[٧] وهذا السلام ، والخطاب ، والنداء ، لموجود يسمع ، ويخاطب ، ويعقل ويرد ، وإن لم يسمع المسلم الرد .

وقد ثبت فى الصحيح أن الميت يستأنس بالمشيعين لجنازته بعد دفنه ، فروى مسلم فى صحيحه[٨] من حديث عبد الرحمن بن شماسة المهرى ، قال : « حضرنا عمرو بن العاص وهو فى سياق الموت ، فبكى طويلاً ، وحول وجهه إلى الجدار » ، فجعل ابنه يقول : « ما يبكيك يا أبتاه أما بشرك رسول الله – ﷺ – بكذا ؟ » فأقبل بوجهه فقال : « إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ... » إلى أن قال : « فإذا أنا مِتُّ فلا تصحبنى نائحة ، ولا

كان أغناه عن الدخول فى مثل هذا الاستدلال العقلى الذى لا مجال له فى أمر غيبى كهذا ، وهو من أغرب ما رأيت من الأدلة .

(٧) **حديث صحيح** :
أخرجه مسلم (فى طرق حديث ٩٧٤) وفيه أن جبريل قال لرسول الله – ﷺ – إن ربك يأمرك أن تأتى أهل البقيع فتستغفر لهم . قالت عائشة كيف أقول لهم يا رسول الله ؟ قال : قولى « السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون » .
وأخرج مسلم (٩٧٥) من حديث بريدة – رضى الله عنه – قال : كان رسول الله – ﷺ – يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر فكان قائلهم يقول السلام على أهل الديار (وفى رواية) السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله للاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية » .

(٨) **حديث موقوف صحيح** :
أخرجه مسلم (١٢١) من حديث ابن شماسَةَ المَهْرِىِّ قال : حضرنا عمرو بن العاص وهو فى سياقة الموت فبكى طويلا وحول وجهه إلى الجدار فجعل ابنه يقول : يا أبتاه أما بشرك رسول الله – ﷺ – بكذا ؟ أما بشرك رسول الله – ﷺ – بكذا ؟ قال فأقبل بوجهه فقال : إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .. فذكر الحديث إلى أن قال : فإذا أنا مُتُّ فلا تصحبنى نائحة ولا نار فإذا دفنتمونى فشنوا علىَّ التراب شنًّا ثم أقيموا حول قبرى قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربى .

نار ، فإذا دفنتمونى فسنوا[٩] علىَّ التراب سنًّا ، ثم أقيموا حول قبرى قدر ما تُنحر جزور ويُقسم لحمها ، حتى أستأنس بكم ، وأنظر ماذا أراجع به رسلَ ربى » .

فدل على أن الميت يستأنس بالحاضرين عند قبره ويُسرُّ بهم .

ومن قبيل هذا الاستئناس قراءة (يٓس) عند الاحتضار فقد روى معقل بن يسار المزنى ، عن النبى - ﷺ - أنه قال : « اقرأوا « يس » عند موتاكم »[١٠] (أولا) هذا وقت الاحتضار مثل قوله - ﷺ - : « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله »[١١] . (وثانياً) انتفاع المحتضر بهذه السورة لما فيها من التوحيد ، والمعاد والبشرى بالجنة لأهل التوحيد ، وغبطة من مات عليه بقوله : ﴿ **يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين** ﴾ ، فتستبشر الروح بذلك ، فتحب لقاء الله ، فيحب الله لقاءها ، فإن هذه السورة قلب القرآن ، ولها خاصية عجيبة فى قراءتها عند المحتضر[١٣] .

ثالثاً : أن الصحابة لو فهموا من قوله - ﷺ - اقرأوا (يٓس) عند موتاكم ، قراءتها عند القبر ، لما أخلوا به ، ولكان ذلك أمرًا معتادًا مشهورًا بينهم .

---

(٩) سنّاً : أى صب التراب صبًا سهلاً .

(١٠) **حديث ضعيف** :
أخرجه أبو داود (جـ٣/٤٨٩) وابن ماجة (١٤٤٨) وأحمد (٥/٢٦ -٢٧) والبيهقى (٣/٣٨٣) من حديث معقل بن يسار - رضى الله عنه - مرفوعاً وفى إسناده أبو عثمان - وليس بالنهدى - يرويه عن أبيه وهما مجهولان وقد أُعل أيضا بالاضطراب انظر سنن البيهقى .

(١١) **حديث صحيح** :
أخرجه مسلم (٩١٦) وأبو داود (٣/٤٨٧) وابن ماجة (١٤٤٥) والنسائى (٤/٥) من حديث أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - عن النبى - ﷺ - وأخرجه مسلم أيضا (٩١٧) من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - عن النبى - ﷺ - .

(١٢) سورة يس الآية (٢٦ و٢٧) .

(١٣) قوله فإن هذه السورة قلب القرآن كون سورة يس قلب القرآن لم يثبت فيه شىء عن رسول الله - ﷺ - ، والحديث الوارد فى ذلك أخرجه الترمذى (٢٨٨٧) من حديث أنس - رضى الله عنه - مرفوعا وقال الترمذى عقب إخراجه : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حميد بن عبد الرحمن ، وبالبصرة لا يعرفون من حديث قتادة إلا من هذا الوجه ، وهارون أبو محمد شيخ =

رابعاً : أن انتفاعه باستماعها ، وحضور قلبه وذهنه عند قراءتها فى آخر عهده بالدنيا هو المقصود .

ويدل على تعرف الأموات بزيارة الأحياء ، ما جرى عليه عمل الناس قديمًا وإلى الآن من تلقين الميت فى قبره(١٤) ، ولولا أنه يسمع ذلك وينتفع به لم يكن فيه فائدة ، وقد سُئل عنه الإمام أحمد رحمه الله فاستحسنه واحتج عليه بالعمل .

وقد روى أبو داود فى سننه بإسناد لا بأس به أن النبى - ﷺ - حضر جنازة رجل ، فلما دفن قال : « سلوا لأخيكم التثبيت ، فإنه الآن يُسأل »(١٥) .

وقد صح عن النبى - ﷺ - أن الميت يسمع قرع نعالهم إذا ولّوا منصرفين(١٦) .

مجهول وقال أيضاً : وفى الباب عن أبى بكر الصديق ولا يصح من قبل إسناده ، إسناده ضعيف .
وقد حكم الشيخ ناصر على هذا الحديث بالوضع فى السلسلة الضعيفة (رقم ١٦٩) .
وقد أورد ابن كثير هذا الحديث وتكلم عليه فى التفسير (٥٦٣/٣) .

(١٤) قوله .. ما جرى عليه عمل الناس من تلقين الميت فى قبره .
الحديث الوارد فى هذا حديث ضعيف لا يثبت عن رسول الله - ﷺ - وقد أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير (٢٩٨/٨) وتكلمنا على ضعفه بما فيه الكفاية فى كتابنا الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة ص ٣٣١ .

(١٥) **حديث حسن** :
أخرجه أبو داود (٥٥٠/٣) من حديث عثمان بن عفان - رضى الله عنه - قال كان النبى - ﷺ - إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال : استغفروا لأخيكم وسلوا له بالتثبيت فإنه الآن يسأل .

(١٦) **حديث صحيح** : وقد تقدم « وهذا خاص بوقت وضعه فى قبره ومجىء الملكين إليه وسؤاله » كما سبق بيانه عن الشيخ ناصر الدين الألبانى .

هل أرواح الموتى[١٧] تتلاقى وتتزاور وتتذاكر أم لا ؟

إن الأرواح قسمان : [١] أرواح معذبة . [٢] وأرواح منعمة .

فالمعذبة : فى شغل بما هى فيه من العذاب عن التزاور والتلاقى .

والأرواح المنعمة : المرسلة غير المحبوسة تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها فى الدنيا ، فتكون كل روح مع رفيقها الذى هو على مثل عملها ، وروح نبينا محمد - ﷺ - فى الرفيق الأعلى . قال تعالى : ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا** ﴾[١٨] وهذه المعية ثابتة فى الدنيا وفى دار البرزخ وفى دار الجزاء ، والمرء مع من أحب فى هذه الدور الثلاث .

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن الشهداء بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون ، وأنهم يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ، وأنهم يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وهذا يدل على تلاقيهم من ثلاثة أوجه :

[١] أنهم عند ربهم يرزقون ، وإذا كانوا أحياء فهم يتلاقون .

[٢] أنهم إنما استبشروا بإخوانهم لقدومهم عليهم ولقائهم لهم .

[٣] أن لفظ يستبشرون يفيد فى اللغة أنهم يبشر بعضهم بعضًا مثل يتباشرون .

---

(١٧) قال الشيخ الألبانى فى تعليقه على هذا العنوان فى « الآيات البينات » وقد ساق ابن القيم لها أدلة كثيرة من الكتاب والسنة والآثار عن الصحابة والتابعين ، لكن الأحاديث التى أوردها ليس فيها ما يحتج به من قبل إسناده ، وقد فاته حديث أبى هريرة وفيه : « ... وإن المؤمن يصعد بروحه إلى السماء فتأتيه أرواح المؤمنين فيستخبرونه عن معارفهم من أهل الأرض ... » الحديث وسنده حسن ، وصححه السيوطى ، وقد خرجته فى الصحيحة برقم (٢٦٢٨) .

(١٨) سورة النساء : الآية ٦٩ .

هل تتلاق أرواح الأحياء[19]
وأرواح الأموات أم لا ؟

قال تعالى : ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها ، فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾[20] .

فالله يتوفى نفس الميت فيمسكها ولا يرسلها إلى جسدها قبل يوم القيامة ، ويتوفى نفس النائم ثم يرسلها إلى جسدها إلى بقية أجلها ، فيتوفاها الوفاة الأخرى .

وبذلك يكون قد أخبر بوفاتين وفاة كبرى وهى وفاة الموت ، ووفاة صغرى وهى وفاة النوم ، وقسم الأرواح قسمين : [1] قسماً : قضى عليها بالموت فأمسكها عنده وهى التى توفاها وفاة الموت . [2] وقسما : لها بقية أجل فردها إلى جسدها إلى استكمال أجلها ، وجعل سبحانه الإمساك والإرسال حكمين للوفاتين المذكورتين أولاً فهذه ممسكة وهذه مرسلة ، وأخبر أن التى لم تمت هى التى توفاها فى منامها .

فلو كان قد قسم وفاة النوم إلى قسمين : وفاة موت ووفاة نوم لم يقل ﴿ **والتى لم تمت فى منامها** ﴾ ؛ فإنها من حين قبضت ماتت ، وهو سبحانه قد أخبر أنها لم تمت فكيف يقول بعد ذلك : ﴿ **فيمسك التى قضى عليها الموت** ﴾ ،

---

(١٩) قال الشيخ الألبانى معلقاً على هذا العنوان فى « الآيات البينات » ص ١٠٦ فيه دلالة على أنها تجتمع فى الملأ الأعلى كما ورد بذلك فى الحديث المرفوع الذى رواه ابن منده وغيره . ثم ذكر الآية التالية .

(٢٠) سورة الزمر : الآية ٤٢ .

[ومعنى ذلك أن الأرواح تكون حية فى حال النوم ، والدليل على ذلك الرؤى التى يراها النائم] .

ولنذكر لك أن الرؤيا على ثلاثة أنواع :
[١] رؤيا من الله . [٢] رؤيا من الشيطان . [٣] رؤيا من حديث النفس .

والرؤيا الصحيحة أقسام : منها إلهام يلقيه الله سبحانه فى قلب العبد ؛ وهو كلام يكلم به الرب عبده فى المنام كما قال عبادة بن الصامت وغيره .

ومنها : مثل يضربه له ملك الرؤيا الموكل بها .
ومنها : التقاء روح النائم بأرواح الموتى من أهله وأقاربه وأصحابه وغيرهم .

ومنها : عروج روحه إلى الله سبحانه وخطابها له .
ومنها : دخول روحه الجنة ومشاهدتها وغير ذلك .

فالتقاء أرواح الأحياء والموتى نوع من أنواع الرؤيا الصحيحة التى هى عند الناس من جنس المحسوسات .

الروح هل تموت[٢١]
أم الموت للبدن وحده ؟

موت النفوس : هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها فإن أريد بموتها هذا القدر فهى ذائقة الموت ، وإن أريد أنها تعدم وتضمحل وتصير عدمًا محضًا فهى لا تموت بهذا الاعتبار بل هى باقية بعد خلقها فى نعيم أو فى عذاب .

قال أبو عبد الله : وقال شيخنا أحمد بن عمرو :

الموت ليس بعدم محض وإنما هو انتقال من حال إلى حال ، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين ، وهذه صفة الأحياء فى الدنيا ، وإذا كان هذا فى الشهداء كان الأنبياء بذلك أحق وأولى ، مع أنه قد صح[٢٢] عن النبى - ﷺ - أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ، وأنه - ﷺ - التقى بالأنبياء ليلة الاسراء فى بيت المقدس[٢٣] ، وفى السماء .

---

(٢١) قال الشيخ الألبانى معلقاً فى « الآيات البينات » ص ١٠٦ « قال : قال ابن رجب : وقد احتج بعضهم على فناء الأرواح وموتها بما روى عن النبى - ﷺ - أنه كان إذا دخل المقابر قال : السلام عليكم أيتها الأرواح الفانية والأبدان البالية .. الحديث خرجه ابن السنى ولا يثبت قلت : وهو مخرج فى الضعيفة (٤١٨٦) .

فالمراد بالفناء والهلاك المذكورين فى الآيتين بالنسبة للأرواح إنما هو خروجها من أبدانها وليس عدمها مطلقا ، فإنها لا تفنى كالجنة والنار ونحوهما ، وقد جمعها ابن القيم فقال فى « الكافية الشافية » ٩٧/١ شرح

ثمانيــة حكــم البقــاء يعمهــا   من الخلق والباقون فى حيز العدم
هى العرش والكرسى ونار وجنة   وشجب وأرواح كذا اللوح والقلم

وذكره النار فيها وأنها باقية لا تفنى هو الصواب من قوله كما بينته فى مقدمتى لكتاب « رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار » للعلامة الصنعانى » ا.هـ .

(٢٢) **حديث صحيح** :
أخرجه أحمد (٨/٤) وأبو داود (١٥٣١) وغيرهم من حديث أوس بن أوس (وروى أوس بن أبى أوس) عن النبى - ﷺ - قال : « إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا علىَّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علىَّ » قال فقالوا يا رسول الله : وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمْت (يعنى وقد بليت) قال : « إن الله تبارك وتعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » .

ما موقف الأرواح بعد مفارقتها للبدن ؟ وبأى شيء تتميز وتتعارف ؟

قد وصف الله سبحانه وتعالى الأرواح بالدخول ، والخروج ، والقبض ، والتوفّى ، والرجوع ، وصعودها إلى السماء ، وفتح أبوابها لها ، وغلقها عنها ، فقال تعالى :

﴿ ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرِجوا أنفسكم ﴾[٢٤] .

وقال تعالى : **﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى ﴾**[٢٥] وهذا يقال لها عند المفارقة للجسد ، وقال تعالى : **﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ﴾**[٢٦] فأخبر أنه سوّى النفس كما أخبر أنه سوى البدن فى قوله : **﴿ الذى خلقك فسوَّاك فعدلك ﴾**[٢٧] ، فهو سبحانه سوى نفس الإنسان كما سوى بدنه ، بل سوى بدنه كالقالب لنفسه ، فتسوية البدن تابع لتسوية النفس ، والبدن موضوع لها كالقالب لما هو موضوع له .

ومن ها هنا يُعلم أنها تأخذ من بدنها صورة تتميز بها عن غيرها ، فإنها تتأثر ، وتنتقل من البدن كما يتأثر البدن وينتقل عنها ، فيكتسب البدنُ الطيبَ والخبث من طيب النفس وخُبثها ، وتكتسب النفسُ الطيب والخبث من طيب

---

(٢٣) **رواية صحيحة :**
أخرجها البخارى (٣٤٩) ومسلم (١٦٣) من حديث أبى ذر - رضى الله عنه - مرفوعا ، وله طرق عن النبى - ﷺ .

(٢٤) سورة الأنعام : الآية ٩٣ .

(١٥) سورة الفجر : الآيات ٢٧ - ٣٠ .

(٢٦) سورة الشمس : الآيات ٧-٨ .

(٢٧) سورة الانفطار : الآية ٧ .

(٢٨) سورة الزمر : الآية ٤٢ .

البدنِ وخبثِهِ ، فأشد الأشياء ارتباطاً وتناسبًا وتفاعلاً وتأثراً من أحدهما بالآخر الروح والبدن ، ولهذا يقال لها عند المفارقة :
اخرجى أيتها النفس الطيبة . أو عكس ذلك .

وقال تعالى : ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى** ﴾[٢٨] فوصفها بالتوفى ، والإمساك ، والإرسال ، كما وصفها بالدخول ، والخروج ، والرجوع ، والتسوية ، وقد أخبر النبى - ﷺ - : « أن بصر الميت يتبع نفسه إذا قُبضت »[٢٩] . « وأخبر أن الملك يقبضها ، فتأخذها الملائكة من يده ، فيوجد لها رائحة كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض ، وإن كانت خبيثة فتوجد كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، والأعراض لا ريح لها ، ولا تُمسك ، ولا تؤخذ من يد إلى يد ، وأخبر أنها تصعد إلى السماء ، ويصلّى عليها كل ملك لله بين السماء والأرض ، وأنها تفتح لها أبواب السماء ، فتصعد من سماء إلى سماء حتى يُنتهى بها إلى السماء السابعة ، فتوقف بين يديه سبحانه ، ويأمر بكتابة اسمه فى ديوان أهل عليين ، إذا كانت من روح عباده الصالحين ، ثم ترد إلى الأرض ، عكس روح الكافر »[٣٠] . وقد أخبر النبى - ﷺ - : « بأن نسمة المؤمن - وهى روحه - طائر يعلُق فى شجر الجنة ، حتى يردها الله إلى جسدها »[٣١] .

---

(٢٩) **حديث صحيح** :
أخرجه مسلم (مع النووى ٦/٢٢٢) من حديث أم سلمة - رضى الله عنها - قالت : دخل رسول الله - ﷺ - على أبى سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال : « إن الروح إذا قبض تبعه البصر .. » الحديث .

(٣٠) **حديث صحيح** :
فى قوله « وأخبر أن الملك يقبضها ... إلى قوله « عكس روح الكافر » وسيأتى فى حديث البراء بن عازب - رضى الله عنه - .

(٣١) **حديث صحيح** :
أخرجه النسائى (١٠٨/٤) وابن ماجة (٤٢٧١) وغيرهم من طريق مالك عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب أنه أخبره أن أباه كعب بن مالك كان يحدث عن رسول الله - ﷺ - قال :=

وأخبر أن الروح تُنعم وتعذب فى البرزخ إلى يوم القيامة .

وقد أخبر سبحانه عن أرواح قوم فرعون أنها تُعرض على النار غدوًا وعشيًا قبل يوم القيامة ، وقد أخبر سبحانه عن الشهداء بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون ، وهذه حياة أرواحهم ، ورزقها دار ، وإلا فالأبدان قد تمزقت ، وقد فسر رسول الله - ﷺ - هذه الحياة بأن أرواحهم فى جوف طير خضر ، لها قناديل معلقة بالعرش . تسرح من الجنة حيث شاءت ، ثم تأوى إلى تلك القناديل ، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال : هل تشتهون شيئا ؟ قالوا : أى شىء نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا (فعل بهم ذلك ثلاث مرات) ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : « نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى »(٣٢) .

ومصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ **ولا تحسبن الذين قُتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يُرزقون** ﴾(٣٣) .

= « إنما نسمة المؤمن طائر فى شجر الجنة حتى يبعثه الله عز وجل إلى جسده يوم القيامة » . وهذا إسناد صحيح .

وقد تكلم بعض أهل العلم فى رواية الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب فقال أحمد بن صالح (كما فى التهذيب) لم يسمع الزهرى من عبد الرحمن بن كعب شيئاً إنما روى عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ولم يذكره النسائى فى شيوخ الزهرى إنما ذكر ابن أخيه حسب . كذا قال وهذا الكلام فيه نظر فقد صرح ابن شهاب بأن عبد الرحمن بن كعب أخبره .

(٣٢) **حديث صحيح** :
أخرجه مسلم (١٨٨٧) من طريق مسروق قال سألنا عبد الله (هو ابن مسعود) عن هذه الآية ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ قال أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال : « أرواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيئا ؟ قالوا أى شىء نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا يا رب نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى . فلما رأى أن ليس لهم حاجة تُركوا » .

(٣٣) سورة آل عمران : ١٦٩ .

وهذا صريح فى أكلها ، وشربها ، وحركتها ، وانتقالها ، وكلامها . وإذا كان هذا شأن الأرواح ، فتميزها بعد المفارقة يكون أظهر من تميز الأبدان ، والاشتباه بينهما أبعد من اشتباه الأبدان .

وتميز الروح عن الروح بصفاتها أعظم من تميز البدن عن البدن بصفاته ، ألا ترى أن بدن المؤمن والكافر قد يشتبهان كثيراً وبين روحيهما أعظم التباين والتميز ، وأنت ترى أخوين شقيقين مشتبهين فى الخِلقة غاية الاشتباه وبين روحيهما غاية التباين ، فإذا تجردت هاتان الروحان كان تميزها فى غاية الظهور .

وإذا كانت الأرواح العلوية ، وهم الملائكة – متميزًا بعضهم عن بعض من غير أجسام تحملهم ، وكذلك الجن . فتميز الأرواح البشرية أولى .

الروح هل تعاد إلى الميت
فى قبره وقت السؤال أم لا ؟
وكما فى حديثه – ﷺ – عن كل ما يخص الروح ونعيمها وعذابها

قد كفانا رسول الله – ﷺ – أمر هذه المسألة ، وأغنانا عن أقوال الناس حيث صرح بإعادة الروح إلى الميت ، فعن البراء بن عازب[٣٤] – رضى الله عنه – قال : « خرجنا مع النبى – ﷺ – فى جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد ، فجلس رسول الله – ﷺ – [مستقبل القبلة] ، وجلسنا حوله ، وكأن على رؤوسنا الطير ، وفى يده عود ينكت فى الأرض ، [فجعل ينظر إلى السماء ، وينظر إلى الأرض ، وجعل يرفع بصره ويخفضه ، ثلاثا] ، فقال : « استعيذوا بالله من عذاب القبر » ، مرتين ، أو ثلاثاً ، ثم قال : « اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر » [ثلاثا] ، ثم قال : « إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ، نزل إليه ملائكة من السماء ، بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة ، حتى يجلسوا منه مد البصر ، ثم يجيىء ملك الموت عليه السلام[٣٥] حتى يجلس عند رأسه فيقول : « أيتها النفس الطيبة (وفى رواية : المطمئنة) اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء ، فيأخذها .

---

(٣٤) قوله فقال البراء بن عازب – رضى الله عنه – « خرجنا مع رسول الله – ﷺ – ... الحديث
[حديث صحيح]
أخرجه أحمد (٤/٢٨٧) وأبو داود (٤٧٥٣) من حديث البراء بن عازب – رضى الله عنه – عن النبى – ﷺ – مطولا .

(٣٥) قال حافظ العصر « الشيخ ناصر الدين الألبانى » هذا هو اسمه فى الكتاب والسنة « ملك الموت » وأما تسميته « بعزرائيل » فمما لا أصل له خلافاً لما هو مشهور عند الناس ولعله من الاسرائيليات .

وفى رواية : حتى إذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض ، وكل ملك فى السماء ، وفتحت له أبواب السماء ، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يعرج بروحه من قبلهم ، فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن ، وفى ذلك الحنوط .

فذلك قوله تعالى : ﴿ **توفته رسلنا وهم لا يفرِّطون** ﴾ ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض ، قال : فيصعدون بها فلا يمرون ، يعنى بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون : فلان ابن فلان – بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا ، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون له ، فيفتح لهم ، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها ، حتى ينتهى به إلى السماء السابعة ، فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدى فى عليين ، [﴿ **وما أدراك ما عليون . كتاب مرقوم يشهده المقربون** ﴾ ، فيكتب كتابه فى عليين ، ثم يقال] : أعيدوه إلى الأرض ، فإنى [وعدتهم أنى] منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى ، قال : ف [يُرد إلى الأرض ، و] تعاد روحه فى جسده ، [قال : فإنه يسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه] [مدبرين] فيأتيه ملكان [شديدا الانتهار] ف [ينتهرانه ، و] يجلسانه فيقولان له ، وما عملك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله ، فآمنت به ، وصدقت ، [فينتهره فيقول : من ربك ؟ ما دينك ؟ من نبيك ؟ وهى آخر فتنة تعرض على المؤمن ، فذلك حين يقول الله عز وجل : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا** ﴾ ، فيقول : ربى الله ، ودينى الإسلام ، ونبيى محمد – ﷺ – ، فينادى منادٍ فى السماء : أن صدق عبدى ، فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فى قبره مد بصره ، قال : ويأتيه [وفى رواية : يمثل له] رجل حسن الوجه حسن الثياب ، طيب الريح ، فيقول : أبشر بالذى يسرك) [أبشر برضوان من الله وجنات فيها نعيم مقيم] ، هذا يومك الذى كنت توعد ، فيقول له : [وأنت فبشرك الله بخير] من أنت ؟ فوجهك الوجه يجيىء بالخير ، فيقول : أنا عملك الصالح [فوالله ما علمتك إلا كنت سريعاً فى إطاعة الله ،

بطيئاً فى معصية الله ، فجزاك الله خيراً] ، ثم يفتح له باب من الجنة ، وباب من النار) فيقال : هذا منزلك لو عصيت الله ، أبدلك الله به هذا فإذا رأى ما فى الجنة قال : رب عجل قيام الساعة ، كيما أرجع إلى أهلى ومالى ، [فيقال له : اسكن] ، قال : وإن العبد الكافر (وفى رواية : الفاجر) إذا كان فى انقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ، نزل إليه من السماء ملائكة [غلاظ شداد] سود الوجوه ، معهم المسوح [من النار] ، فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجيىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط من الله وغضب ، قال : فتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود [الكثير الشعر] من الصوف المبلول ، (فتقطع معها العروق والعصب) ، [فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض ، وكل ملك فى السماء ، وتغلق أبواب السماء ، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تعرج روحه من قبلهم] فيأخذها ، فإذا أخذها ، لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح ، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها ، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ، فيقولون : فلان ابن فلان ، بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا ، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا فيستفتح له ، فلا يفتح له ، ثم قرأ رسول الله – ﷺ – : ﴿ **لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة ، حتى يلج الجمل فى سم الخياط** ﴾ فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه فى سجين ، فى الأرض السفلى ، ثم يقال : أعيدوا عبدى إلى الأرض فإنى وعدتهم أنى منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى) ، فتطرح روحه [من السماء] طرحاً [حتى تقع فى جسده] ثم قرأ ﴿ **ومن يشرك بالله ، فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق** ﴾ ، فتعاد روحه فى جسده ، [قال : فإنهي ليسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه] .

وذهب إلى القول بموجب هذا الحديث جميع أهل السنة والحديث من سائر الطوائف .

وحياة الميت فى قبره ، غير هذه الحياة التى نحياها ، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة فى الدنيا ، ليسأل ، ويمتحن فى قبره فهذا حق ونفيه خطأ وقد دل عليه النص الصحيح الصريح وهو قوله - ﷺ - : « فتعاد روحه إلى جسده » .

وإذا كان النائم روحه فى جسده وهو حى ، وحياته غير حياة المستيقظ ، فإن النوم شقيق الموت ، فهكذا الميت إذا أعيدت روحه إلى جسده كانت له حال متوسطة بين الحى وبين الميت الذى ترد روحه إلى بدنه كحال النائم المتوسطة بين الحى والميت ، فتأمل هذا يزيح عنك إشكالات كثيرة .

أما عن نزول الروح وصعودها وقربها وبعدها فإنها من جنس ما للبدن ، فإنها تصعد إلى ما فوق السموات ثم تهبط إلى الأرض ما بين قبضها ووضع الميت فى قبره ، وهو زمن يسير لا يصعد البدن وينزل فى مثله ، وكذلك صعودها وعودها إلى البدن فى النوم واليقظة ، وقد مثلها بعضهم بالشمس وشعاعها فإنها فى السماء وشعاعها فى الأرض ، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وليس هذا مثلا مطابقاً ، فإن نفس الشمس لا تنزل من السماء ، والشعاع الذى على الأرض ليس هو الشمس ولا صفتها ، بل هو عرض حصل بسبب الشمس والجرم المقابل لها .

ويستدل من حديث البراء - رضى الله عنه - السابق : أن الأرواح تعاد إلى القبر ، وأن الملكين يُجلسان الميت ويستنطقانه .

قال شيخ الإسلام :

الأحاديث الصحيحة المتواترة تدل على عود الروح إلى البدن وقت السؤال ، وسؤال البدن بلا روح قول قاله طائفة من الناس وأنكره الجمهور ، وقابلهم آخرون فقالوا : السؤال للروح بلا بدن وهذا قاله ابن مرة ، وابن حزم ، وكلاهما غلط ، والأحاديث الصحيحة ترده ، ولو كان ذلك على الروح فقط لم يكن للقبر بالروح اختصاص .

هل عذاب القبر على النفس والبدن ؟
وهل يشاركُ البدنُ النفس فى النعيم والعذاب أم لا ؟

وقد سئل شيخ الإسلام عن هذه المسألة ونحن نذكر لفظ جوابه ، قال : « بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة ، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن ، وتنعم متصلة بالبدن والبدن متصل بها ، فيكون النعيم والعذاب عليهما فى هذه الحال مجتمعين كما تكون على الروح منفردة عن البدن » .

ولتعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون فى نعيم أو عذاب ، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه ، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة ، وأنها تتصل بالبدن أحيانًا ويحصل له معها النعيم أو العذاب ، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين ، ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى .

فصل فى أحاديث عذاب القبر

ونحن نثبت ما ذكرناه ، فأما أحاديث عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير فكثيرة متواترة عن النبى - ﷺ - كما فى الصحيحين[٣٦] عن ابن عباس أن النبى - ﷺ - مر بقبرين فقال : « إنهم ليُعذبان وما يُعذبان فى كبير ، أما أحدهما

---

(٣٦) **حديث صحيح :**
أخرجه البخارى (٢١٦) وفى غير موضع من صحيحه ، ومسلم (٢٩٢) من حديث ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : « مر النبى - ﷺ - بحائط من حيطان المدينة - أو مكة - فسمع صوت إنسانين يعذبان فى قبورهما فقال النبى - ﷺ - : « يعذبان وما يعذبان فى كبير - ثم قال بلى كان أحدهما لا يستتر من بوله ، وكان الآخر يمشى بالنميمة » ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين فوضع على كل قبر منهما كسرة فقيل له : يا رسول الله لم فعلت هذا ؟ قال : « لعله أن يخفف عنهما ما لم تيبسا » أو « إلى أن ييبسا » .

فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة ، ثم دعا بجريدة رطبة فشقها نصفين فقال : لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا » .

وفى صحيح مسلم(٣٧) : عن زيد بن ثابت قال : « بينما رسول الله - ﷺ - فى حائط (بستان) لبنى النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه وإذا أقْبُرٌ ستة أو خمسة أو أربعة فقال : من يعرف أصحاب هذه الأقْبُر ؟ فقال رجل : أنا ، قال : فمتى مات هؤلاء ؟ قال : ماتوا فى الإشراك . فقال : إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها ، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يُسمعكم **من عذاب القبر** الذى أسمع منه ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال : تعوَّذوا بالله من عذاب النار ، قالوا : نعوذ بالله من عذاب النار ، فقال : **تعوذا بالله من عذاب القبر** ، قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر ، قال : تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، قالوا : نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، قال : تعوذوا بالله من فتنة الدجال ، قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال » .

وفى صحيح مسلم(٣٨) وجميع السنن عن أبى هريرة أن النبى - ﷺ - قال : « إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع : من عذاب جهنم ، **ومن عذاب القبر** ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال » .

وفى صحيح مسلم(٣٩) أيضاً وغيره عن ابن عباس أن النبى - ﷺ - كان

---

(٣٧) **حديث صحيح** : أخرجه مسلم (٢٨٦٧) من حديث زيد بن ثابت - رضى الله عنه - مرفوعا .

(٣٨) **حديث صحيح** :
أخرجه مسلم (٥٨٨) وأبو داود (١/٦٠) والنسائى (٣/٥٨) وابن ماجة (٩٠٩) . ولفظ مسلم (إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شر المسيح الدجال) .

(٣٩) **حديث صحيح** :
أخرجه مسلم (٥٩٠) من حديث ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رسول الله - ﷺ - كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول : « قولوا : اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات » .

يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن : « اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم ، **وأعوذ بك من عذاب القبر** ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال » .

وفى الصحيحين[٤٠] عن أبى أيوب قال : « خرج النبى – ﷺ – وقد غابت الشمس فسمع صوتًا » فقال : « **يهود تعذب فى قبورها** » .

وفى الصحيحين[٤١] عن عائشة – رضى الله عنها – قالت : « دخلت عليّ عجوز من عجائز يهود المدينة فقالت : « إن أهل القبور يعذبون فى قبورهم » ، قالت : « فكذبتها ولم أنعم أن أصدقها » ، قالت : « فخرجت ودخل عليّ رسول الله – ﷺ – » فقالت : « يا رسول الله إن عجوزاً من عجائز يهود أهل المدينة دخلت فزعمتْ أن أهل القبور يعذبون فى قبورهم » ، قال : « صدقتْ إنهم يعذبون عذابًا تسمعه البهائم كلها » ، قالت : « فما رأيته بعد فى صلاة **إلا يتعوذ من عذاب القبر** » .

وفى الصحيحين[٤٢] من حديث قتادة عن أنس أن النبى – ﷺ – قال : « إن الميت إذا وضع فى قبره ، وتولى عنه أصحابه ، إنه ليسمع خفق نعالهم ، أتاه

---

(٤٠) **حديث صحيح :**
أخرجه البخارى (١٣٧٥) ومسلم (٢٨٦٩) من حديث أبى أيوب الأنصارى – رضى الله عنه – عن النبى – ﷺ – .

(٤١) حديث صحيح :
أخرجه البخارى (٦٣٦٦) ومسلم (٥٨٦) من حديث عائشة – رضى الله عنها – قالت : « دخلت عليَّ عجوزان من عُجزُ يهود المدينة فقالتا لى : إن أهل القبور يعذبون فى قبورهم فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما فخرجتا ودخل عليَّ النبى – ﷺ – فقلت يا رسول الله : إن عجوزين وذكرت له فقال : « صدقتا إنهم يعذبون عذابا تسمعه البهائم كلها فما رأيته بعد فى صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر » .
« اللفظ للبخارى » .

(٤٢) **حديث صحيح :**
وأخرجه البخارى (١٣٧٤) ومسلم (٢٨٧٠) من طريق قتادة عن أنس – رضى الله عنه – قال قال رسول الله – ﷺ – : « إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه – وإنه ليسمع قرع نعالهم – أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ لمحمد – ﷺ – فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار ، قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة =

ملكان فيقعدانه ، فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد ؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، قال : فيقول : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة ، قال رسول الله – ﷺ – : فيراهما جميعاً » .

قال قتادة : وذكر لنا أنه يفسح له فى قبره سبعون ذراعًا يملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون ، ثم رجع إلى حديث أنس قال : « فأما الكافر والمنافق فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس ، فيقولان : لا دريت ولا تليت ، ثم يضرب بمطراق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة فيسمعها من عليها غير الثقلين » .

وروى النسائى(٤٣) فى سننه من حديث عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – عن النبى – ﷺ – قال : « هذا الذى تحرك له العرش ، وفتحت له أبواب السماء ، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة، لقد ضُم ضمة ثم فرج عنه » قال النسائى : يعنى سعد بن معاذ .

ومعلوم أن هذا كله للجسد بواسطة الروح .

وهذا كما أنه مقتضى السنة الصحيحة فهو متفق عليه بين أهل السنة .

قال المروزى : قال أبو عبد الله : « عذاب القبر حق لا ينكره إلا ضال أو مضل » .

وقال حنبل : « قلت لأبى عبد الله فى عذاب القبر » فقال : « هذه أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر بها ، كلما جاء عن النبى – ﷺ – إسناد جيد أقررنا به ، إذا لم نقر بما جاء به رسول الله – ﷺ – ودفعناه ورددناه على الله

= فيراهما جميعا » قال قتادة : وذكر لنا أنه يفسح له فى قبره . ثم رجع إلى حديث أنس قال : « وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس فيقال : لا دريت ولا تليت ، ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين .

(٤٣) **حديث صحيح** :
أخرجه النسائى (١٠٠/٤) من حديث ابن عمر – رضى الله عنه – عن النبى – ﷺ – .

أمره » ، قال الله تعالى : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه** ﴾[٤٤] قلت له : « وعذاب القبر حق ؟ » قال : « حق ، يعذبون فى القبور » - قال : « وسمعت أبا عبد الله » يقول : « نؤمن بعذاب القبر وبمنكر ونكير وأن العبد يُسأل فى قبره ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة** ﴾[٤٥] فى القبر .

موقف من مات
فأكلته السباع أو أحرق

ومما ينبغى أن يُعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قُبِر أو لم يقبر ، فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رماداً ونسف فى الهواء أو صلب أو غرق فى البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى القبور .

وفى صحيح البخارى عن سمرة[٤٦] قال : كان النبى - ﷺ - إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال : « من رأى منكم الليلة رؤيا ؟ » قال : « فإن رأى أحد رؤيا قصها » ، فيقول : « ما شاء الله » ، فسألنا يومًا فقال : « هل رأى أحد منكم رؤيا ؟ » قلنا : لا ، قال : « لكنى رأيت الليلة رجلين أتيانى ، فأخذا بيدى ، وأخرجانى إلى الأرض المقدسة ، فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب[٤٧] من حديد يدخله فى شدقه حتى يبلغ قفاه ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك ويلتئم شدقه هذا فيعود فيصنع مثله ، قلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بصخرة أو فِهْر فيشدخ بها رأسه فإذا ضربه تدهده الحجر فانطلق إليه ليأخذه ، فلا يرجع إلى هذا

---

(٤٤) سورة الحشر : الآية ٧ .

(٤٥) سورة إبراهيم : الآية ٢٧ .

(٤٦) **حديث صحيح** : أخرجه البخارى (٧٠٤٧) من حديث سمرة .

(٤٧) مثل الخشبة فى رأسها عقافة من حديد .

حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو ، فعاد إليه فضربه ، قلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق فانطلقنا إلى نقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يوقد تحته نار فإذا فيه رجال ونساء عراة فيأتيهم اللهب من تحتهم ، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا أن يخرجوا فإذا خمدت رجعوا ، فقلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة ، فأقبل الرجل الذى فى النهر ، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر فى فيه فرده حيث كان ، فجعل كلما جاء ليخرج رمى فى فيه بحجر فرجع كما كان ، فقلت ما هذا ؟ قالا : انطلق فانطلقنا حتى أتينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفى أصلها شيخ وصبيان ، وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها ، فصعدا بى الشجرة وأدخلانى داراً لم أر قط أحسن منها ، فيها شيوخ وشبان ، ثم صعدا بى فأدخلانى داراً هى أحسن وأفضل ، قلت : طوفتمانى الليلة فأخبرانى عما رأيتُ ، قالا : نعم . الذى رأيته يشق شدقه كذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به إلى يوم القيامة ، والذى رأيته يشدخ رأسه فرجل علَّمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار يفعل به إلى يوم القيامة ، وأما الذى رأيت فى النقب فهم الزناة ، والذى رأيته فى النهر فآكل الربا . وأما الشيخ الذى فى أصل الشجرة فإبراهيم والصبيان حوله فأولاد الناس ، والذى يوقد النار فمالك خازن النار ، والدار الأولى دار عامة المؤمنين ، وأما هذه الدار فدار الشهداء وأنا جبرائيل وهذا ميكائيل ، فارفع رأسك فرفعت رأسى فإذا قصر مثل السحابة قالا : ذلك منزلك ، قلت : دعانى أدخل منزلى ، قال : إنه بقى لك عمر لم تستكمله فلو استكملته أتيت منزلك » .

وهذا نص فى عذاب البرزخ فإن رؤيا الأنبياء وحى مطابق لما فى نفس الأمر .

الجواب على من ينكر عذاب القبر
وسعته – وضيقه
وكونه حفرة من حفر النار
أو روضة من رياض الجنة

(وفيه عشرة أمور)

الأمر الأول : أن يُعلم أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لم يخبروا بما تحيله العقول وتقطع باستحالته بل إخبارهم قسمان :

١ – ما تشهد به العقول والفطر .

٢ – مالا تدركه العقول بمجردها كالغيوب التى أخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر ، وتفاصيل الثواب والعقاب ، ولا يكون خبرهم محالاً فى العقول أصلاً ، وكل خبر يظن أن العقل يحيله فلا يخلو من أحد أمرين ، إما يكون الخبر كذبا عليهم أو يكون ذلك العقل فاسداً وهو شبهة خيالية يظن صاحبها أنها معقول صريح قال تعالى : ﴿ **ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدى إلى صراط العزيز الحميد** ﴾(٤٨) . والمحال لا يشفى ولا يحصل به هدى ولا رحمة ولا يُفَرَحُ به . فهذا أمر من لم يستقر فى قلبه خير ولم يثبت له على الإسلام قدمٌ وكان أحسن أحواله الحيرة والشك .

الأمر الثانى : أن يفهم عن الرسول – ﷺ – مراده ، من غير غلو ولا تقصير ، فلا يحمل كلامه مالا يحتمله ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان .

الأمر الثالث : إن الله سبحانه وتعالى جعل الدور ثلاثاً ، دار الدنيا ، ودار البرزخ ، ودار القرار وجعل لكل دار أحكامًا تختص بها ، وركب هذا الإنسان

---

(٤٨) سورة سبأ : الآية ٦ .

من بدن ونفس ، وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان ، والأرواحُ تبعًا لها ، ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح وإن أضمرت النفوس خلافه . وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدانُ تبعًا لها ، فكما تبعت الأرواح الأبدان فى أحكام الدنيا فتألمت بألمها والتذت براحتها وكانت هى التى باشرت أسباب النعيم والعذاب تبعت الأبدانُ الأرواح فى نعيمها وعذابها والأرواح حينئذ هى التى تباشر العذاب والنعيم ، فالأبدان هنا ظاهرة والأرواح خفية ، والأبدان كالقبور لها ، والأرواح هنالك ظاهرة والأبدان خفية فى قبورها تجرى أحكام البرزخ على الأرواح فتسرى إلى أبدانها نعيمًا أو عذاباً كما تجرى أحكام الدنيا على الأبدان فتسرى إلى أرواحها نعيما أو عذاباً ، فأَحِطْ بهذا الموضع علمًا واعرفه كما ينبغى يُزِل منك كل إشكال يورد عليك من داخل وخارج . وقد أرانا الله سبحانه بلطفه ورحمته وهدايته من ذلك أنموذجًا فى الدنيا من حال النائم ، فإن ما ينعم به أو يعذب فى نومه يجرى على روحه أصلاً والبدن تبع له ، وقد يقوى حتى يؤثر فى البدن تأثيراً مشاهداً فيرى النائم فى نومه أنه ضُرب فيصبح وأثر الضرب فى جسمه ، ويرى أنه قد أكل أو شرب فيستيقظ وهو يجد أثر الطعام والشراب فى فيه ويذهب عنه الجوع والظمأ . وأعجب من ذلك أنك ترى النائم يقوم فى نومه ويضرب ويبطش ويدافع كأنه يقظان ، وهو نائم لا شعور له بشيء من ذلك ، وذلك أن الحكم لمّا جرى على الروح استعانت بالبدن من خارجه ولو دخلت فيه لاستيقظ وأحس ، فإذا كانت الروح تتألم وتنعم ويصل ذلك إلى بدنها بطريق الاستتباع ، فهكذا فى البرزخ بل أعظم ، فإن تجرد الروح هنالك أكمل وأقوى وهى متعلقة ببدنها لم تنقطع عنه كل الانقطاع ، فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهراً أبديًا أصلاً .

ومتى أعطيت هذا الموضع حقه تبين لك أن ما أخبر به الرسول من عذاب القبر ونعيمه وضيقه وسعته وضمه وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة مطابق للعقل ، وأنه حق لا مرية فيه ، وإن من أشكل عليه ذلك فمن سوء فهمه وقلة علمه كما قيل :

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

وأعجب من ذلك أنك تجد النائمين فى فراش واحد ، وهذا روحه فى النعيم ويستيقظ وأثر النعيم على بدنه ، وهذا روحه فى العذاب ويستيقظ وأثر العذاب على بدنه ، وليس عند أحدهما خبر بما عند الآخر ، فأمر البرزخ أعجب من ذلك .

الأمر الرابع : أن الله سبحانه جعل أمر الآخرة وما كان متصلا بها غيبًا ، وحجبها عن إدراك المكلفين فى هذه الدار ، وذلك من كمال حكمته ، وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم ، فأول ذلك أن الملائكة تنزل على المحتضر وتجلس قريبًا منه ويشاهدهم عيانًا ويتحدثون عنده ومعهم الأكفان والحنوط إما من الجنة وإما من النار ، ويُؤمِّنون على دعاء الحاضرين بالخير والشر ، وقد يسلمون على المحتضر ويرد عليهم تارةً بلفظه وتارة بإشارته وتارة بقلبه حيث لا يتمكن من نطقٍ ولا إشارة . وأبلغ شيء فى ذلك قول الله عز وجل : ﴿ **فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تُبصرون** ﴾[٤٩] أى أقرب إليه بملائكتنا ورسلنا ، ولكنكم لا ترونهم ، فهذا أول الأمر ، وهو غير مرئى لنا ولا مشاهد وهو فى هذه الدار .

ثم يمد الملك يده إلى الروح فيقبضها ويخاطبها والحاضرون لا يرونه ولا يسمعونه ، ثم تخرج فيخرج لها نور مثل شعاع الشمس ورائحة أطيب من رائحة المسك والحاضرون لا يرون ذلك ولا يشمونه ، ثم تصعد بها الملائكة والحاضرون لا يرونهم ، ثم تأتى الروح فتشاهد غسل البدن وتكفينه ، وحمله وتقول : قدمونى قدمونى ، أو إلى أين تذهبون بى ؟ ولا يسمع الناس ذلك ، فإذا وضع فى لحده وسوى عليه التراب لم يحجب التراب الملائكة عن الوصول إليه بل لو نقر له حجر فأودع فيه وختم عليه بالرصاص لم يمنع وصول الملائكة إليه .

الأمر الخامس : أن النار التى فى القبر والخضرة ليست من نار الدنيا ولا من زروع الدنيا فيشاهده من شاهد نار الدنيا وخضرها ، وإنما هى من نار الآخرة وخضرها وهى أشد من نار الدنيا ، فلا يحس بها أهل الدنيا ، فإن الله سبحانه يحمى عليه ذلك التراب والحجارة التى عليه وتحته حتى يكون أعظم حراً من

---

(٤٩) سورة الواقعة : الآيات ٨٣-٨٥ .

حجر الدنيا . بل أعجب من ذلك أن الرجلين يدفنان أحدهما إلى جنب الآخر وهذا فى حفرة من حفر النار لا يصل حرها إلى جاره ، وذلك فى روضة من رياض الجنة لا يصل روحها ونعيمها إلى جاره .

وقدرة الرب تعالى أوسع وأعجب من ذلك ، وقد أرانا الله من آيات قدرته فى هذه الدار ما هو أعجب من ذلك بكثير ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علماً إلا من وفقه الله وعصمه .

الأمر السادس : أن الله سبحانه وتعالى يُحدِثُ فى هذه الدار ما هو أعجب من ذلك ، فهذا جبريل كان ينزل على النبى – ﷺ – ، ويتمثل له رجلاً ، فيكلمه بكلام يسمعه ، ومن إلى جانب النبى – ﷺ – لا يراه ولا يسمعه ، وأحيانًا يأتيه الوحى فى مثل صلصلة الجرس ولا يسمعه غيره من الحاضرين .

وهؤلاء الجن يتحدثون ويتكلمون بالأصواتِ المرتفعة بيننا ونحن لا نسمعهم ، وقد كانت الملائكة تضرب الكفار بالسياط ، وتضرب رقابهم ، وتصيح بهم ، والمسلمون معهم لا يرونهم ولا يسمعون كلامهم ، والله سبحانه قد حجب بنى آدم عن كثير مما يحدثه فى الأرض وهو بينهم ، وقد كان جبريل يُقرىء النبى – ﷺ – ويدارسه القرآن والحاضرون لا يسمعونه . وكيف يستنكر من يعرف الله سبحانه ، ويقر بقدرته ، أن يحدث حوادث يصرف عنها أبصار بعض خلقه حكمة منه ورحمةً بهم ، لأنهم لا يطيقون رؤيتها وسماعها ، والعبد أضعف بصراً وسمعاً من أن يثبت لمشاهدة عذاب القبر ، وكثيراً ممن أشهده الله ذلك صُعق ، وغشى عليه ، ولم ينتفع بالعيش زمناً ، وبعضهم كشف قناع قلبه فمات ، فكيف ينكر فى الحكمة الإلهية إسبال غطاء يحول بين المكلفين وبين مشاهدة ذلك حتى إذا كشف الغطاء رأوه وشاهدوه عياناً .

الأمر السابع : أنه غير ممتنع أن ترد الروح إلى المصلوب ، والغريق ، والمحرق ، ونحن لا نشعر بها ، لأن ذلك الرد نوع آخر غير المعهود ، فهذا المغمى عليه ، والمسكوت ، والمبهوت ، أحياء وأرواحهم معهم ، ولا تشعر بحياتهم ، ومن تفرقت أجزاؤه لا يمتنع على من هو على كل شىء قدير أن يجعل للروح اتصال

بتلك الأجزاء على تباعد ما بينهما وقربه ويكون فى تلك الأجزاء شعور بنوع من الألم واللذة ، وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد جعل فى الجمادات شعوراً وإدراكًا تسبح ربها به ، وتسقط الحجارة من خشيته ، وتسجد له الجبال والشجر ، وتسبحه الحصى والمياه والنبات .

قال تعالى : ﴿ **وإن من شىء إلا يُسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم** ﴾(٥٠) ولو كان التسبيح هو مجرد دلالتها على صانعها لم يقل ﴿ **ولكن لا تفقهون تسبيحهم** ﴾ فإن كل عاقل يفقه دلالتها على صانعها .

الأمر الثامن : أنه ينبغى أن يُعلم أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه وهو ما بين الدنيا والآخرة قال تعالى : ﴿ **ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون** ﴾(٥١) .

وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة ، وسمى عذاب القبر ونعيمه ، وأنه روضة أو حفرة نار ، باعتبار غالب الحق فالمصلوب والمحروق والغريق وأكيل السباع والطيور له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذى تقتضيه أعماله وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتها ، فقد ظن بعض الأوائل(٥٢) أنه إذا حرق جسده بالنار ، وصار رماداً ، وذُرِّى بعضه فى البحر وبعضه فى البر فى يوم شديد الريح أنه ينجو من ذلك ، فأوصى بنيه أن يفعلوا به ذلك ، فأمر الله

---

(٥٠) سورة الإسراء : الآية ٤٤ .

(٥١) سورة المؤمنون : الآية ١٠٠ .

(٥٢) قوله ظن بعض الأوائل :

أخرج البخارى (٧٥٠٨) ومسلم (٢٧٥٧) من حديث أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - عن النبى - ﷺ - أنه ذكر رجلا فيمن سلف - أو فيمن كان قبلكم - قال كلمة يعنى أعطاه الله مالا وولدا فلما حضرت الوفاة قال لبنيه : أى أب كنت لكم ؟ قالوا خير أب ، قال : فإنه لم يبتئر [يدخر] عند الله خيرا وإن يقدر الله عليه يعذبه فانظروا إذا مت فأحرقونى حتى إذا صرت فحما فاسحقونى فإذا كان يوم ريح عاصف فأذرونى فيها ، فقال النبى - ﷺ - : « فأخذ مواثيقهم على ذلك وربى ففعلوا ثم أذروه فى يوم عاصف » فقال الله عز وجل : « كن فإذا هو رجل قائم ، قال الله : أى عبدى ما حملك على أن فعلت ما فعلت ؟ قال مخافتك - أو فرق منك - قال فما تلافاه أن رحمه عندها ، وقال مرة أخرى : فما تلافاه غيرها » وللحديث طرق متعددة عن النبى - ﷺ - .

البحر فجمع ما فيه ، وأمر البر فجمع ما فيه ، ثم قال : قم فإذا هو قائم بين يدى الله ، فسأله ما حملك على ما فعلت ؟ فقال : خشيتك يا رب وأنت أعلم ، فرحمه .

فلم يفت عذاب البرزخ ونعيمه لهذه الأجزاء التى صارت فى هذه الحال فعناصر العالم ومواده منقادة لربها وفاطرها وخالقها يصرفها كيف يشاء ولا يستعصى علبه منها شيء أراده ، بل هى طوع مشيئته مذللة لقدرته ، ومن أنكر هذا فقد جحد رب العالمين ، وكفر به ، وأنكر ربوبيته .

الأمر التاسع : أن الموت معاد وبعث أول ، فإن الله سبحانه وتعالى جعل لابن آدم معادين وبعثين يجزى فيهما الذين أساءوا بما عملوا ، ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى .

فالبعث الأول : مفارقة الروح للبدن ومصيرها إلى دار الجزاء الأول .

والبعث الثانى : يوم يرد الله الأرواح إلى أجسادها ويبعثها من قبورها إلى الجنة أو النار ، وهو الحشر الثانى ، ولهذا فى الحديث الصحيح(٥٣) : « وتؤمن بالبعث الآخر » فإن البعث الأول لا ينكره أحد وإن أنكر كثير من الناس الجزاء فيه والنعيم والعذاب ، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هاتين القيامتين وهما الصغرى والكبرى فى سورة المؤمنين ، وسورة الواقعة ، وسورة القيامة ، وسورة المطففين وسورة الفجر ، وغيرها من السور ، وقد اقتضى عدله وحكمته أن جعلهما دار جزاء المحسن والمسيء ولكن توفية الجزاء إنما يكون يوم المعاد الثانى فى دار القرار كما قال تعالى : ﴿ **كلُّ نفسٍ ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة** ﴾(٥٤) ، وقد اقتضى عدله وأوجبت أسماؤه الحسنى وكماله المقدس تَنَعُّم أبدان أوليائه وأرواحهم ، وتعذب أبدان أعدائه وأرواحهم . هذا موجب عدله وحكمته وكماله

---

(٥٣) **حديث صحيح** :
أخرجه البخارى (٤٧٧٧) ومسلم (حديث رقم ٩) من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - كان يوما بارزا للناس إذ أتاه رجل يمشى فقال يا رسول الله : ما الإيمان ؟ قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ورسله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر ... الحديث .

(٥٤) سورة آل عمران : الآية ١٨٥ .

المقدس ، ولما كانت هذه الدار دار تكليف وامتحان لا دار جزاء لم يظهر فيها ذلك .

وأما البرزخ فأول دار الجزاء ، فظهر فيها من ذلك ما يليق بتلك الدار وتقتضى الحكمة إظهاره ، فإذا كان يوم القيامة الكبرى وُفِّى أهل الطاعة وأهل المعصية ما يستحقونه من نعيم الأبدان والأرواح وعذابهما .

جواب من يسأل عن الحكمة فى كون عذاب القبر لم يذكر فى القرآن مع شدة الحاجة إلى معرفته والإيمان به ليحذر ويتقى

فالجواب من وجهين : مجمل ، ومفصل .

أما المجمل : فهو أن الله سبحانه وتعالى أنزل على رسوله وحيين وأوجب على عباده الإيمان بهما والعمل بما فيهما وهما الكتاب والحكمة ، قال تعالى : ﴿ **وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة** ﴾[٥٥] .

والكتاب هو القرآن والحكمة هى السنة باتفاق السلف ، وما أخبر به الرسول - ﷺ - فهو فى وجوب تصديقه والإيمان به كما أخبر به الرب تعالى هذا متفق عليه بين أهل الإسلام لا ينكره إلا من ليس منهم ، وقد قال النبى - ﷺ - : « إنى أوتيت الكتاب ومثله معه »[٥٦] .

وأما الجواب المفصل : فهو أن نعيم البرزخ وعذابه مذكور فى القرآن فى غير موضع ، فمنها قوله تعالى : ﴿ **ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم ، اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون** ﴾[٥٧] .

وهذا خطاب لهم عند الموت وقد أخبرت الملائكة وهم الصادقون أنهم

---

(٥٥) سورة النساء : الآية ١١٣ .

(٥٦) **حديث صحيح** :

أخرجه أبو داود (٤٦٠٤) وأحمد (١٣١/٤) من حديث المقدام بن معدى كرب - رضى الله عنه - مرفوعا .

(٥٧) سورة الأنعام : الآية ٩٣ .

حينئذ يجزون عذاب الهون ، ولو تأخر عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم اليوم تُجزون .

ومنها قوله تعالى : ﴿ **فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب ، النار يُعرضون عليها غدوا وعشيا ، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** ﴾(٥٨) فذكر عذاب الدارين ذكراً صريحًا لا يحتمل غيره .

وغير ذلك من الآيات الدالة على عذاب القبر فى سورة الطور الآية ٤٥-٤٦ وفى سورة السجدة الآية : ٢١ ، وسورة الواقعة : ٨٣-٩٦ ، وسورة الفجر الآية : ٢٨ .

وأنت إذا تأملت أحاديث عذاب القبر ونعيمه وجدتها تفصيلا وتفسيراً لما دل عليه القرآن ، وبالله التوفيق .

الأسباب التى يعذب بها أصحاب القبور

وفيها وجهان : مجمل ومفصل .

أما المجمل فإنهم يعذبون على جهلهم بالله ، وإضاعتهم لأمره ، وارتكابهم لمعاصيه ، فلا يعذب الله روحًا عرفته وأحبته وامتثلت أمره واجتنبت نهيه ، ولا بدنًا كانت فيه أبداً ، فإن عذاب القبر وعذاب الآخرة أثر غضب الله وسخطه على عبده ، فمن أغضب الله وأسخطه فى هذه الدار ثم لم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه ، فمستقل ومستكثر ، ومصدق ، ومكذب .

وأما المفصل : فقد أخبر النبى - ﷺ -(٥٩) عن الرجلين اللذين رآهما

(٥٨) سورة غافر : الآية ٤٦ .

(٥٩) قوله : « فقد أخبر النبى - ﷺ - عن الرجلين اللذين رآهما يعذبان فى قبورهما .. » **صحيح وقد تقدم** .

يُعذبان فى قبورهما يمشى أحدهم بالنميمة بين الناس ويترك الآخر الاستتار من البول ، فهذا ترك الطهارة الواجبة ، وذلك ارتكب السبب الموقع للعداوة بين الناس بلسانه وإن كان صادقًا وفى حديث شعبة « أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس » فهذا مغتاب وذلك نمام .

وكذلك : الكذب – والذى يقرأ القرآن ثم ينام عنه بالليل ولا يعمل به بالنهار ، وكذلك الزناة والزوانى ، وآكلوا الربا ، ومن تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة ، وتارك الزكاة – وآكل مال اليتيم .

فعذاب القبر عن معاصى القلب ، والعين ، والأذن ، والفم ، واللسان والبطن ، والفرج ، واليد ، والرجل ، والبدن كله ، فالنمام ، والكذاب والمغتاب ، وشاهد الزور ، وقاذف المحصن ، والموقع فى الفتنة ، والداعى إلى البدعة ، والقائل على الله ورسوله مالا علم له به ، والمجازف فى كلامه ، وآكل الربا ، وآكل أموال اليتامى ، وآكل السحت من الرشوة والبرطيل ونحوهما ، وآكل مال أخيه بغير حق ، أو مال المعاهد ، وشارب المسكر ، والزانى ، واللوطى ، والسارق ، والخائن والغادر ، والمخادع ، والماكر ، وآخذ الربا ومعطيه وكاتبه وشاهداه ، والمحلل والمحلل له ، والمحتال ، ومؤذى المسلمين ومتتبع عوراتهم ، والحاكم بغير ما أنزل الله ، والمفتى بغير ما شرعه الله والمعين على الإثم والعدوان ، وقاتل النفس التى حرم الله ، والملحد فى حرم الله والمعطل لحقائق أسماء الله وصفاته الملحد فيها ، والمقدم رأيه وذوقه وسياسته على سنة رسول الله – ﷺ – ، والنائحة والمستمع إليها والمغنون الغناء الذى حرمه الله والمستمعون إليهم ، والذين يبنون المساجد على القبور ، والمطففين فى المكيال والميزان ، والجبابرة ، والمتكبرون ، والمراؤون ، والهمازون ، واللمازون ، والطاعنون على السلف ، والذين يأتون السحرة والكهنة والمنجمين ، وأعوان الظلمة الذين قد باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم ، والمجاهر بالمعصية ، والفاحش اللسان البذىء الذى تركه الخلق اتقاء شره وفحشه ، ومؤخر الصلاة عن وقتها ،... الخ .

ولما كان أكثر الناس كذلك كان أكثر أصحاب القبور معذبين ، والفائز منهم قليل ، فظواهر القبور تراب وبواطنها حسرات وعذاب ، ظواهرها بالتراب

والحجارة المنقوشة مبينات وفى باطنها الدواهى والبليات ، تغلى بالحسرات كما تغلى القدور بما فيها ، ويحق لها وقد حيل بينها وبين شهواتها وأمانيها ، تالله لقد وعظتْ فما تركت لواعظٍ مقال ، ونادت يا عمار الدنيا لقد عمرتم داراً موشكة بكم زوالاً وخربتم بيوتاً لغيركم منافعها وسكناها وخربتم بيوتاً ليس لكم ساكن سواها ، هذه دار الاستباق ومستودع الأعمال وبذر الزرع ، وهذه محل للعبر رياض من رياض الجنة أو حفر من حفر النار .

الأسباب المنجية من عذاب القبر

تجنب تلك الأسباب التى تقتضى عذاب القبر السابقة ، ومن أنفعها أن يجلس الرجل عندما يريد النوم ساعة يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه فى يومه ، ثم يجدد له توبة نصوحًا بينه وبين الله ، فينام على تلك التوبة ويعزم على أن لا يعاود الذنب إذا استيقظ ويفعل هذا كل ليلة ، فإن مات من ليلته مات على توبة ، وإن استيقظ استيقظ مسروراً بتأخير أجله حتى يستقبل ربه ويستدرك ما فاته ، وليس للعبد أنفع من هذه التوهة ولاسيما إذا عقب ذلك بذكر الله واستعمال السنن التى وردت عن رسول الله - ﷺ - عند النوم حتى يغلبه النوم فمن أراد الله به خيراً وفقه لذلك ، ولا قوة إلا بالله .

ومن الأسباب المنجية من عذاب القبر : الرباط فى سبيل الله ، والشهادة فى سبيله فقد روى مسلم فى صحيحه[٦٠] عن سلمان - رضى الله عنه - قال : سمعتُ رسول الله - ﷺ - يقول : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذى كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان » وكذلك بعض حالات الموت من المرض كمن مات ببطنه وكذلك قراءة سورة الملك .

---

(٦٠) **حديث صحيح :**
أخرجه مسلم (١٩١٣) من حديث سلمان - رضى الله عنه - قال سمعت رسول الله - ﷺ - .. فذكر الحديث .

هل عذاب القبر دائم أو منقطع ؟

جوابها أنه نوعان : « **نوع دائم** » .

سوى ما ورد فى بعض الأحاديث أنه يخفف عنهم ما بين النفختين ، فإذا قاموا من قبورهم قالوا : ﴿ **يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا** ﴾(٦١) ويدل على دوامه قوله تعالى : ﴿ **النار يعرضون عليها غدوًا وعشياً** ﴾(٦٢) ويدل عليه أيضًا ما تقدم من حديث سمرة الذى رواه البخارى(٦٣) فى رؤيا النبى - ﷺ - وفيه فهو يفعل به ذلك إلى يوم القيامة .

وفى حديث البراء(٦٤) بن عازب السابق فى قصة الكافر ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة .

النوع الثانى : إلى مدة ثم ينقطع وهو عذاب العصاة الذين خَفَّتْ جرائمهم فيعذب بحسب جرمه ، ثم يخفف عنه ، كما يعذب فى النار مدة ثم يزول عنه العذاب .

وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء ، أو صدقة ، أو استغفار .

---

(٦١) سورة يونس : الآية ٥٢ .
(٦٢) سورة فاطر : الآية ٤٦ .
(٦٣) **حديث صحيح** :
أخرجه البخارى (٧٠٤٧) من حديث سمرة بن جندب - رضى الله عنه - عن النبى - ﷺ - وقد سبق برقم (٤٦) .
(٦٤) قوله : وفى حديث البراء بن عازب : **صحيح** وقد تقدم تخريجه .

مستقر الأرواح[٦٥]
ما بين الموت إلى يوم القيامة

قال - ﷺ - : « نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة »[٦٦] .

وقال أيضا : « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار ، فمن أهل النار » .

ولا تنافى بين الحديثين ، وهذا الخطاب يتناول الميت على فراشه والشهيد كما أن قوله : « نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة » يتناول الشهيد وغيره ، ومع كونه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى تَرِدُ روحه أنهار الجنة وتأكل من ثمارها . وأما المقعد الخاص به والبيت الذى أُعد له فإنه إنما يدخله يوم القيامة ويدل عليه أن منازل الشهداء ودورهم وقصورهم التى أعدَّ الله لهم ليست هى تلك القناديل التى تأوى إليها أرواحهم فى البرزخ قطعاً ، فهم يرون منازلهم ومقاعدهم من الجنة ، ويكون مستقرهم فى تلك القناديل المعلقة بالعرش ، فإن الدخول التام الكامل إنما يكون يوم القيامة ، ودخول الأرواح الجنة فى البرزخ أمر دون أمر .

ونظير هذا أهل الشقاء تعرض أرواحهم على النار غدواً وعشيا ، فإذا كان يوم القيامة دخلوا منازلهم ومقاعدهم التى كانوا يعرضون عليها فى البرزخ ، فتنعم الأرواح بالجنة فى البرزخ شىء وتنعمها مع الأبدان يوم القيامة بها شىء آخر ، فغذاء الروح من الجنة فى البرزخ دون غذائها مع بدنها يوم البعث ، ولهذا قال :

---

(٦٥) وخلاصة هذا الأمر : أن أرواح المؤمنين عند الله تعالى فى الجنة ، شهداء كانوا أم غير شهداء ، وإذا لم يحبسهم عن الجنة : كبيرة ، ولا دَين ويلقاهم ربهم بالعفو عنهم ، وهذا مذهب أبى هريرة وعبد الله بن عمر - رضى الله تعالى عنهما - قال الشيخ الألبانى فى التعليق على هذه الفقرة : ص ٩٩ فى الآيات البينات : « وهو الصحيح من الأقوال لأن غيره لا دليل عليه فى السنة ، أو فى أثر صحيح تقوم به الحجة . وهو الذى جزم به شيخ الإسلام ابن تيمية فى الفتاوى (٣٦٥/٢٤) ومع ذلك فتتصل بالبدن متى شاء الله وللحافظ ابن رجب تفصيل جيد فى ذلك انظر « أحوال القبور » .

(٦٦) قوله (نسمة المؤمن من طائر ...) **صحيح** وقد تقدم .

تُعلق فى شجر الجنة أى تأكل العلقة ، وتمام الأكل والشرب واللبس والتمتع فإنما يكون إذا رُدتَّ إلى الأجساد يوم القيامة ، فظهر أنه لا يعارض هذا القول السنن فى شيء ، وإنما تعاضده السنة وتوافقه .

وأما النصوص والآثار التى ذكرت فى رزق الشهداء وكون أرواحهم فى الجنة فكلها حق وهى لا تدل على انتفاء دخول أرواح المؤمنين الجنة ولاسيما الصديقين الذين هم أفضل من الشهداء بلا نزاع بين الناس ، فإن قيل : فإن كان هذا حكمًا يختص بالشهداء فما الموجب لتخصيصهم بالذكر فى هذه النصوص ؟ قلتُ : التنبيه على فضل الشهادة وعلو درجتها ، وأن هذا مضمون لأهلها ، ولابد وأن لهم منها أوفر نصيب ، فنصيبهم من هذا النعيم فى البرزخ أكمل من نصيب غيرهم من الأموات على فراشهم ، وإن كان الميت على فراشه أعلى درجة منهم فله نعيم يختص به لا يشاركه فيه من هو دونه .

ويدل على هذا أن الله سبحانه جعل أرواح الشهداء فى أجواف طير خضر ، فإنهم لما بذلوا أنفسهم لله حتى أتلفها أعداؤه فيه أعاضهم منها فى البرزخ أبدانًا خيراً منها تكون فيها إلى يوم القيامة ويكون نعيمها بواسطة تلك الأبدان أكمل من نعيم الأرواح المجردة عنها . ولهذا كانت نسمة المؤمن فى صورة طير أو كطير ، ونسمة الشهيد فى جوف طير ، وتأمل لفظ الحديثين فإنه قال : « نسمة المؤمن طير » فهذا يعم الشهيد وغيره ثم خص الشهيد بأن قال : « هى فى جوف طير » ومعلوم أنها إذا كانت فى جوف طير صدق عليها أنها طير . فصلوات الله وسلامه على من يصدق كلامه بعضه بعضًا . ولتعلم : أن الروح لها شأنًا آخر تكون فى الرفيق الأعلى فى أعلى عليين ، ولها اتصال بالبدن بحيث إذا سلَّم المسلم على الميت رد الله عليه روحه فيرد عليه السلام وهى فى الملأ الأعلى . فتكون بمنزلة شعاع الشمس وجرمها فى السماء .

وقد ثبت أن روح النائم تصعد حتى تخترق السبع الطباق ، وكذلك روح الميت تصعد بها الملائكة حتى تجاوز السموات السبع .

ومما ينبغى أن يُعلم أن شأن الروح تختلف بحسب حال الأرواح من القوة والضعف فأرواح المؤمنين فى عليين فى السماء السابعة ، وأرواح الكفار فى سجين

فى الأرض السابعة فهذا قول قد قاله جماعة من السلف والخلف ، ويدل عليه قول النبى - ﷺ - « اللهم الرفيق الأعلى »(٦٧) وكما تقدم من حديث البراء بن عازب ، ولكن هذا لا يدل على استقرارها هناك بل يصعد بها إلى هناك للعرض على ربها فيقضى فيها أمره ويكتب كتابه من أهل عِلِّيين أو من أهل سجين ثم تعود إلى القبر للمسألة ، ثم ترجع إلى مقرها التى أودعت فيه ، فأرواح المؤمنين فى عليين بحسب منازلهم وأرواح الكفار فى سجين بحسب منازلهم .

ثم يذكر الإمام ابن القيم تفاوت استقرار الأرواح فيقول :

١ - أرواح فى عليين فى الملأ الأعلى وهى أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وهم متفاوتون فى منازلهم كما رآهم النبى - ﷺ - ليلة الإسراء .

٢ - ومنها أرواح فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت وهى أرواح الشهداء .

٣ - ومنهم من يكون محبوسًا على باب الجنة كما فى الحديث : « رأيت صاحبكم محبوسًا على باب الجنة »(٦٨) .

٤ - ومنهم من يكون محبوسًا فى قبره كما قال - ﷺ - : « والذى نفسى بيده إن الشملة التى غلها لتشتعل عليه ناراً فى قبره »(٦٩) .

---

(٦٧) **حديث صحيح** :
أخرجه البخارى (٥٦٧٤) ومسلم (٢١٩١) من حديث عائشة - رضى الله عنها - قالت سمعت النبى - ﷺ - وهو مستند إلىَّ يقول : « اللهم اغفر لى وارحمنى وألحقنى بالرفيق الأعلى » .

(٦٨) قوله « رأيت صاحبكم .. » **إسناده ضعيف** .
أخرجه أحمد (٥/١١ و١٣) من طريق الشعبى عن سمرة بن جندب والشعبى لم يسمع من سمرة بن جندب .

(٦٩) **حديث صحيح** :
أخرجه البخارى (٦٧٠٧) ومسلم (١١٥) من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - قال خرجنا مع رسول الله - ﷺ - يوم خيبر فلم نغنم ذهبا ولا فضة إلا الأموال والثياب والمتاع فأهدى رجل من بنى الضبيب يقال له رفاعة بن زيد لرسول الله - ﷺ - غلاماً يقال له مدعم فوجه رسول الله - ﷺ - إلى وادى القرى حتى إذا كان بوادى القرى بينما مدعم يحط رحلا لرسول الله - ﷺ - إذا سهم عائر فقتله فقال الناس هنيئا له الجنة فقال رسول الله - ﷺ - : « كلا والذى نفسى بيده إن الشملة التى أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً » .

٥ – ومنهم من يكون مقره باب الجنة كما فى حديث ابن عباس : « الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية »[(٧٠)] .

٦ – ومنهم مَن يكون محبوسًا فى الأرض لم تعلُ روحه إلى الملأ الأعلى ، فإنها كانت روحاً سفلية أرضية .

٧ – ومنها أرواح تكون فى تنور الزناة والزوانى ، (وأرواح) فى نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة ، فليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد بل روح فى أعلى عليين ، وروح أرضية سفلية لا تصعد عن الأرض .

وأنت إذا تأملت السنن والآثار فى هذا الباب ، وكان لك بها فضل اعتناء ، عرفت حجة ذلك ، ولا تظن أن بين الآثار الصحيحة فى هذا الباب تعارضًا فإنها كلها حق يصدق بعضها بعضاً ، لكن الشأن فى فهمها ، ومعرفة النفس وأحكامها ، وأن لها شأنًا غير شأن البدن ، وأنها مع كونها فى الجنة فهى فى السماء ، وتتصل بفناء القبر وبالبدن فيه ، وهى أسرع شىء حركةً وانتقالاً وصعوداً وهبوطاً ، وأنها تنقسم إلى مرسلة ومحبوسة وعلوية وسفلية ، ولها بعد المفارقة صحة ومرض ولذة ونعيم وأمل أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير ، فهنالك الحبس والألم والعذاب والمرض والحسرة ، وهنالك اللذة والراحة والنعيم والإطلاق وما أشبه حالها فى هذا البدن بحال ولد فى بطن أمه ، وحالها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من البطن إلى هذه الدار .

فلهذه الأنفس أربع دور كل دار أعظم من التى قبلها :

١ – فى بطن الأم . ٢ – هى دار الدنيا . ٣ – دار البرزخ . ٤ – دار القرار .

---

(٧٠) قوله : « الشهداء على بارق نهر » **حديث حسن**
أخرجه أحمد (٢٦٦/١) من حديث ابن عباس – رضى الله عنهما – مرفوعا .

هل تنتفع أرواح الموتى[71]
بشيء من سعى الأحياء ؟

الجواب أنها تنتفع من سعى الأحياء بأمرين : مجمع عليهما بين أهل السنة من الفقهاء وأهل الحديث والتفسير .

أحدهما : ما تسبب إليه الميت فى حياته .

والثانى : دعاء المسلمين له ، واستغفارهم له ، والصدقة والحج على نزاع ما الذى يصل من ثوابه ، هل ثواب الإنفاق أو ثواب العمل ؟ فعند الجمهور يصل ثواب العمل نفسه ، وعند بعض الحنفية إنما يصل ثواب الإنفاق .

ومن الأدلة على انتفاعه بما تسبب إليه فى حياته ما رواه مسلم[72] فى صحيحه من حديث أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله – ﷺ – قال : « إذا مات الإنسان انقطع عن عمله إلا من ثلاثة : صدقة جارية . أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » . فاستثناء هذه الثلاث من عمله يدل على أنها منه فإنه هو الذى تسبب إليها .

وأيضاً من الأدلة على انتفاعه بغير ما تسبب فيه القرآن والسنة والإجماع وقواعد الشرع فمثلا قوله تعالى : ﴿ **والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان** ﴾[73] .

---

(71) انظر تفصيل ذلك فى رسالتنا « ما ينفع المسلم بعد وفاته » ط دار الصحابة بطنطا .

(72) **حديث صحيح** :

أخرجه مسلم (1631) من حديث أبى هريرة – رضى الله عنه – عن النبى – ﷺ – .

(73) سورة الحشر : الآية 10 .

ما هى حقيقة النفس ؟
وهل هى الروح أو غيرها ؟
وهل الأمارة واللوامة والمطمئنة نفس واحدة ؟

الجمهور على أن النفس والروح اسم لمسمى واحد ، وهى جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو جنس نورانى علوى خفيف حى متحرك ينفذ فى جوهر الأعضاء ويسرى فيها سريان الماء فى الورد . فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقى ذلك الجسم اللطيف مشابكًا لهذه الأعضاء ، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها ، وخرجت عن قبول تلك الآثار ، فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم الأرواح .

وهذا هو الصواب فى المسألة ، وهو الذى لا يصح غيره .

وعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة ونحن نسوق بعض هذه الأدلة على نسق واحد :

قوله تعالى : ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى** ﴾[٧٥] ففى الآية ثلاثة أدلة : الإخبار بتوفيها وإمساكها وإرسالها .

وقوله تعالى : ﴿ **ولو ترى إذا الظالمون فى غمرات الموت والملائكة[٧٦] باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون** ﴾ وفيها أربعة أدلة :

---

(٧٤) قد تعرض الإمام ابن القيم لهذا الموضوع بشىء من التفصيل فى ست وستين صفحة ، فرحمه الله وأدخله فسيح جناته .

(٧٥) سورة الزمر : الآية ٤٢ .

(٧٦) سورة الأنعام : الآية ٩٣ .

١ – بسط الملائكة أيديهم لتناولها .
٢ – وصفها بالإخراج والخروج .
٣ – الإخبار عن عذابها فى ذلك اليوم .
٤ – الإخبار عن مجيئها إلى ربها .

وقوله تعالى : ﴿ **وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم** ﴾(٧٧) .

وفيها ثلاثة أدلة :
١ – الإخبار بتوفى الأنفس بالليل .
٢ – بعثها إلى أجسادها بالنهار .
٣ – توفى الملائكة له عند الموت .

وهكذا يتعرض الإمام ابن قيم الجوزية لذكر الأدلة حتى تصل الأدلة فى هذه المسألة إلى الوجه السادس عشر بعد المائة فى التدليل على جسميتها وتحيزها ، ثم أخذ يرد على المنازعين فى ذلك فى اثنتين وعشرين مسألة .

النفس المطمئنة
النفس اللوامة
النفس الأمارة بالسوء

فالنفس واحدة ولكن لها صفات فتسمى باعتبار كل صفة باسم **فتسمى مطمئنة باعتبار طمأنينتها** : إلى ربها بعبوديته ومحبته والإنابة إليه والتوكل عليه والرضا به والسكون إليه ، والاستغناء بمحبته عن حب ما سواه ، وبذكره عن ذكر ما سواه ، وبالشوق إليه وإلى لقائه عن الشوق إلى ما سواه ، فالطمأنينة إلى الله سبحانه حقيقة تَرِد منه سبحانه على قلب عبده تجمعه عليه ، وترد قلبه الشارد إليه حتى كأنه جالس بين يديه يسمع به ويبصر به ويتحرك به ويبطش ، فتسرى

---

(٧٧) سورة الأنعام : الآية ٦١ .

تلك الطمأنينة فى نفسه وقلبه ومفاصله وقواه الظاهرة والباطنة تجذب روحه إلى الله ، ويلين جلده وقلبه ومفاصله إلى خدمته والتقرب إليه ، ولا يمكن حصول الطمأنينة الحقيقية إلا بالله وبذكره وهو كلامه الذى أنزله على رسوله كما قال تعالى : ﴿ **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾[٧٨] .

فإن طمأنينة القلب سكونه واستقراره بزوال القلق والانزعاج والاضطراب عنه وهذا لا يتأتى بشيء سوى الله تعالى وذكره البتة .

وحقيقة الطمأنينة التى تصير بها النفس مطمئنة أن تطمئن فى باب معرفة أسمائه وصفاته ونعوت كماله فتتلقاه بالقبول والتسليم ، والإذعان ، وانشراح الصدر له وفرح القلب به .

والطمأنينة إلى أسماء الرب تعالى وصفاته نوعان : طمأنينة إلى الإيمان بها وإثباتها واعتقادها وطمأنينة إلى ما تقتضيه ، وتوجبه من آثار العبودية ، مثاله : الطمأنينة إلى القدر وإثباته والإيمان به يقتضى الطمأنينة إلى مواضع الأقدار التى لم يُؤثر العبد بدفعها ولا قدرة له على دفعها فيسلم لها ويرضى بها ولا يسخط .

وأما طمأنينة الإحسان : فهى الطمأنينة إلى أمره امتثالاً وإخلاصًا ونصحاً فلا يقدم على أمره إرادة ولا هوى ولا تقليداً فلا يساكن شبهة تعارض خبره ولا شهوة تعارض أمره ، وعلامة هذه الطمأنينة أن يطمئن من قلق المعصية وانزعاجها إلى سكون التوبة وحلاوتها وفرحتها ويسهل عليه ذلك بأن يعلم أن اللذة والحلاوة والفرحة فى الظفر بالتوبة فللتوبة طمأنينة تقابل ما فى المعصية من الانزعاج والقلق .

وأما النفس اللوامة :

فهى التى أقسم بها سبحانه فى قوله : ﴿ **ولا أقسم بالنفس اللوامة** ﴾[٧٩]

---

(٧٨) سورة الرعد : الآية ٣٨ .

(٧٩) سورة القيامة : الآية ٢٠ .

فاللوامة نوعان (١) لوامة ملومة : وهى النفس الجاهلة الظالمة التى يلومها الله وملائكته .

(٢) ولوامة غير ملومة : وهى التى لا تزال تلوم صاحبها على تقصيره فى طاعة الله مع بذله جهده فهذه غير ملومة ، وأشرف النفوس من لامت نفسها فى طاعة الله ، واحتملت ملام اللائمين فى مرضاته ، فلا تأخذها فيه لومة لائم ، فهذه قد تخلصت من لوم الله ، وأما من رضيت بأعمالها ولم تلم نفسها ولم تحتمل فى الله ملام اللوَّام ، فهى التى يلومها الله عز وجل .

وأما النفس الأمارة :

فهى المذمومة فإنها التى تأمر بكل سوء وهذا من طبيعتها إلا ما وفقها الله وثبتها وأعانها ، فما تخلص أحد من شر نفسه إلا بتوفيق الله له كما قال تعالى حاكيًا عن امرأة العزيز : ﴿ **وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى إن ربى غفور رحيم** ﴾[٨٠] .

وهكذا يستطرد الإمام العلامة ابن قيم الجوزية فى وصف كل نفس من هذه النفوس وأشكالها ويختم كتابه بقوله :

والمقصود التنبيه على بعض أحوال النفس المطمئنة واللوامة والأمارة وما تشترك فيه النفوس الثلاث وما يتميز به بعضها من بعض وأفعال كل واحدة منها واختلافها ومقاصدها ونياتها وفى ذلك تنبيه على ما وراءه ، وهى نفسٌ واحدة تكون أمارة تارة ، ولوامة أخرى ، ومطمئنة أخرى ، وأكثر الناس الغالب عليهم الأمارة ، وأما المطمئنة فهى أقل النفوس البشرية عددًا وأعظمها عند الله قدراً وهى التى يقال لها ﴿ **ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى** ﴾[٨١] .

والله سبحانه وتعالى المسئول المرجو الإجابة أن يجعل نفوسنا مطمئنة إليه ، عاكفة بهمتها عليه ، راهبة منه ، راغبة فيما لديه ، وأن يعيذنا من شرور أنفسنا

---

(٨٠) سورة يوسف : الآية ٥٣ .

(٨١) سورة الفجر : الآية ٢٩ .

وسيئات أعمالنا ، وأن لا يجعلنا ممن أغفل قلبه عن ذكره واتبع هواه وكان أمره فرطاً ولا يجعلنا من ﴿ **الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا** ﴾[٨٢] .

إنه سميع الدعاء وأهل الرجاء ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

---

(٨٢) سورة الكهف : الآية ٢٠٤ .



الفهـــرس

الموضـــوع	رقم الصفحة
مقدمة ومنهج العمل	٥
هل تعرف الأموات زيارة الأحياء وسلامهم ؟	٧
هل أرواح الموتى تتلاق وتتزاور وتتذاكر أم لا ؟	١٢
هل تتلاق أرواح الأحياء وأرواح الأموات أم لا ؟	١٣
الروح هل تموت أم الموت للبدن وحده ؟	١٤
الرؤيا وانقسامها إلى ثلاثة أنواع	١٥
ما موقف الأرواح بعد مفارقتها للبدن ؟ وبأى شىء تتميز وتتعارف ؟	١٦
الروح هل تعاد إلى الميت فى قبره وقت السؤال أم لا ؟	٢٠
تمام الحديث الخاص بعذاب ونعيم القبر حديث « البراء بن عازب »	
هل عذاب القبر على النفس والبدن ؟	٢٤
وهل يشاركُ البدنُ النفسَ فى النعيم والعذاب أم لا ؟	٢٤
أحاديث عذاب القبر	٢٤
موقف من مات فأكلته السباع أو أُحرق ؟	٢٨
حديث رؤيته ﷺ لأصناف المعذبين فى قبورهم الذى يرويه سمرة	
الجواب على من ينكر عذاب القبر وسعته وضيقه وكونه حفرة من النار أو روضة من الجنة	٣٠
جواب من يسأل عن الحكمة فى كون عذاب القبر لم يذكر فى القرآن	٣٧
الأسباب التى يعذب بها أصحاب القبور	٣٨
الأسباب المنجية من عذاب القبر	٤٠
عذاب القبر دائم أم منقطع ؟	٤١
مستقر الأرواح ما بين الموت إلى يوم القيامة	٤٢

هل تنتفع أرواح الموتى بشيء من سعى الأحياء ؟ ٤٦
ما هى حقيقة النفس ؟ وهل هى الروح أو غيرها ؟ ٤٧
النفس المطمئنة – النفس اللوامة – النفس الأمارة بالسوء ٤٨



رقم الإيداع بدار الكتب ٨٩٢٠ / ٨٩

مطابع الوفاء - المنصورة
شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب
ت : ٣٤٢٧٢١ - ص.ب : ٢٣٠
تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN